تفسير سورة العصر

إعداد دكتور / إسماعيل إسماعيل الربة

مدرس التفسير وعلوم القرآن الكريم - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

بسم الله الرحمن الرحيم

ـــ الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

ـــ فهذا وبعد تفسير لسورة "العصر" الذى قال الإمام الشافعى رضى الله عنه - فى شأنها : " لو تدبر الناس هذه السورة لو سعتهم " .

وقال أيضا : " لو لم ينزل إلى الناس إلا هى لكفتهم " .

وقال غيره : إنها شملت جميع علوم القرآن .

من أجل ذلك كان بحثى هذا الذى أردت أن يكون إسهاما فبراز معالم هذه السورة المباركة التى اشتملت - على الرغم ن وجازتها وقصرها - على سبب سعادة الإنسان أو شقاوته ، ونجاحه فى هذه الحياة أو خسرانه ودماره .

وبنيته عى النقاط الآتية : -

- تسمية سورة العصر هذا الاسم .
- مناسبة هذه السورة لما قبلها .
- هل سورة العصر مكية أو مدنية ؟ وتحقيق القول فى ذلك .
- خصائص السور المكية .
- أهداف السور المكية .

- مدى مطابقة سورة العصر لخصائص وأهداف السور المكية .

- موقع سورة العصر .

- الآثار الواردة فى فضل سورة العصر .

- تفسير آيات السورة .

- المراد بالعصر فى هذه السورة .

- ورد لفظ العصر فى القرآن الكريم .

- وقت العصر .

- حكمة الله - عز وجل - من القَسَمَ بهذا الوقت .

- القَسَمَ الوارد فى سورة العصر ونوعه .

- المخلوقات التى اقسم الله بها .

- الحقائق التى اقسم الله بها .

- علاقة العمل بالإيمان من خلال الآيات القرآنية .

- معنى الإيمان الشرعية .

- الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص .

- هل للمعرفة وحدها تحقق مفهوم الإيمان ؟

- التواصى بالحق .

- التواصى بالصبر .

- أصل كلمة الصبر .

- أوجه ورود الصبر فى القرآن الكريم .

- الفرق بين الصبر والتصبر والاصطبار والمصابرة .

- درجات الصبر .

- الأسباب التى تعين على الصبر .

- وتبدأ بعون الله - تعالى - وقوته فنقول وبالله التوفيق .

(والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواوا بالحق وتواصوا بالصبر)

تسمية سورة العصر بهذا الاسم :

ـــ سميت هذه السورة المباركة بسورة " العصر " فى مصاحف كثيرة ، وكذلك فى معظم كتب التفسير ، وكذلك هى فى مصحف عتيق بالخط الكوفى من المصاحف القيروانية فى القرن الخامس . [١]

ـــ وسميت فى بعض كتب التفسير ، وفى صحيح البخارى : " سورة والعصر " بإثبات الواو على حكاية أول كلمة فيها ، أى سورة هذه الكلمة . [٢]

مناسبة هذه السورة لما قبلها :

ـــ أخرج الطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى فى الشعب عن أبى حذيفة وكانت له صحبة قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة " العصر " ثم يسلم أحدهما على الآخر . وفيها إشارة إلى حال من لم يلهه التكاثر ولذا وضعت سورته . [٣]

هل سورة العصر مكية أم مدنية ؟

ـــ لا سبيل لمعرفة المكى والمدنى من القرآن إلا عن طريق ما ورد عن الصحابة فى ذلك لأنهم هم الذين عاصروا نزول القرآن ، وعرفوا زمانه ونزوله ، وملابسات هذا النزول .

---

[١] تفسير التحرير والتنوير لسماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (١٥ / ٥٢٧) دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس . (د/ت) .

[٢] صحيح البخارى - كتاب التفسير برقم (١٠٣) سورة : العصر .

[٣] روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى (٣٠ / ٢٢٧) مكتبة دار التراث - القاهرة .

ـــ قال عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه : والله الذى إله غيره مـــا نزلـت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ؟ وفى أى شىء نزلت ؟ ولـــو أعلـم أن أحدا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه [١]

ـــ وقد أخرج ابن مردوية عن ابن عباس قـال : " نزلـت سـورة " العصـر " بمكة.[٢] وكذلك هى مكية فى قول الجمهور ، وإطلاق جمهور المفسرين .

ـــ وذكرها ابن الضريس فى كتابة " فضائل القرآن المكى ، ونقلها عنه الإمـام السيوطى فى الإتقان [٣] والبيهقى فى دلائل النبوة .

ولم يذكرها الإمام السيوطى فى تحرير السور المختلف فيها . [٤]

وروى عن قتادة ومجاهد ومقاتل أنها مدنية .

ولا عبرة بهذا الخلاف مع قول جمهور العلماء ، وجمهور المفسرين .

خصائص السور المكية :

سورة العصر مكية على قول جمهور العلماء ، وخصائص السـور المكيـة إجمالها فى الآتى : -

١- كل سورة ورد فيها لفظ (كلا) فهى مكية :

---

[١] الإتقان فى علوم القرآن الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السـيوطى (٤ / ٢٠٤) ت : محمد أبو الفضل إبراهيم النوع الثمانون فى طبقات المفسرين (تفسير الصحابة - مكتبة دار التراث - القاهرة .

[٢] الدار المنثور فى التفسير المأثور : هو مختصر تفسير ترجمان القرآن السـيوطى (٦ / ٦٦٧) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط (١٤١١ هـ - ١٩٩٠) .

[٣] الإتقان (١/ ٢٦) .

[٤] المصدر السابق (١ / ٣٠)

وذكر هذا اللفظ فى القرآن ثلاثا وثلاثين مرة فى خمس عشرة سورة كلـــها فى النصف الأخير من القرآن [١]

ولذا قال الدرينى - رحمه الله تعالى ..

وما نزلـــت كـــلا بيـــثرب فـــاعلمن ولم تأت فى القرآن فى نصفه الأعلى

قال العمانى : " وحكمة ذلك أن نصف القرآن الأخير نـــزل بمكـــة وأكثرهـــا جبابرة فتكررت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم ، بخلاف النصـف الأول ، وما نزلت منه فى اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم "

ب- كل سورة فيها سجدة فهى مكية لا مدنية .

جـ- كل سورة فى أولها حروف التهجى فهى مكية سوى سورة البقـــرة وآل عمران فإنهما مدينتان بالإجماع ، وفى الوعد .

د- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة فهى مكية سوى البقرة .

هـ - كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهى سوى البقرة أيضا .

و- كل سورة من المفصل فهى مكية - غالبا - لأن سورة النصر من المفصـــل وقد نزلت بعد الهجرة .

وما أخرجه الطبرانى عن ابن مسعود قوله : " نزل المفصل بمكـــة فمكثنـــا حججا [٢]

---

[١] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - وضع : محمد فؤاد عبد البـــاقى ص (٦١٩) مكتبة الغزالى - دمشق - (د/ ت) .

[٢] الحِجَّةُ : السَّنَةُ ن والجمع : حجج . " لسان العرب - مادة : حجج " ط : دار المعـارف - مصر .

لقرؤه ولا ينزل غيره فيحمل على المثرة الغالبة من سور المفصل ، لا علـــى جميـــع سور المفصل .

ويبدأ المفصل من القرآن من سورة الحجرات على الأصح ، وسميت بذلـــك لكثرة الفصل فيها بين السور بعضها وبعض من أجل قصرها . [١]

أهداف السور المكية :

١- الإيمان بالوحدانية .

٢- الإيمان بالرسالة .

٣- الإيمان بالبعث والجزاء .

مدى مطابقة سورة العصر لخصائص وأهداف السور المكية :

بالنظر فى آيات سورة العصر ومدى مطابقتها لقاعدة المكى وأهداف الســور المكية نجد أن :

- آيات هذه السورة من المفصل فى سور القرآن الكريم ، والمفصل غالبه معـــدود فى السور المكية .

- آيات هذه السورة من قصار السور .

- السورة المباركة تقرر من خلال الآية الثالثة منها : الإيمان بالله - عـــز وجـــل - والإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر وما يقع فيه البعث والجزاء حيث يقـــول - عز شأنه : (.. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالصبر) شأنها فـــى ذلك شأن جميع السور المكية مما يدل على أن سورة العصر مكية خلافا لمن قال بمدينتها .

---

[١] الإتقان (١ / ٤٨) ومناهل العرفان فى علوم القرآن الشيخ محمد عبد العظيم الزرقـــانى (١/ ١٨٩) دار إحياء التراث العربى (د/ت) .

موقع سورة العصر من سور القرآن الكريم :

سورة العصر هى السورة الثالثة عشرة فى عداد نزول سور القرآن الكريم نزلت بعد سورة الانشراح [١] وقبل سورة العاديات [٢] وآيها ثلاث آيات

وهى إحدى سور ثلاث هن أقصر السور عدد آيات : هى والكوثر ، وسورة النصر [٣]

أخرج ابن سعد عن ميمون قال : شهدت عمر حين طعن فأمنا عبد الرحمن بن عوف فقرا بأقصر سورتين فى القرآن : " بالعصر" و " إذا جاء نصر الله " " فى الفجر " [٤]

أغراض سورة العصر :

- اشتملت سورة العصر على إثبات الخسران الشديد لأهل الشرك ، ومن كان على شاطئهم من أهل الكفر بالإسلام بعد أن بُلِغَت دعوته .
- اثبت نجاة وفوز الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والداعين منهم إلى الحق
- نبهت على فضيلة الصبر على تزكية النفس ، ودعوة الحق ز

---

[١] سورة الانشراح أو الشرح هى السورة الثانية عشرة فى عداد نزول السور ، نزلت بعد سورة الضحى بالاتفاق وقبل سورة العصر .

[٢] سورة العاديات هى السورة الرابعة عشرة فى ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد بناء على أنها كلية نزلت بعد سورة العصر وقبل سورة الكوثر . (التحرير ١٥ / ٤٩٧) .

[٣] التحرير (١٥ / ٥٢٦) .

[٤] الدار المنثور (٦ / ٦٦٧) .

الآثار الواردة فى فضل سورة العصر

أخرج الطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى مليكة الدارمى وكانت له صحبة قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة

" والعصر " إن الإنسان لفى خسر " إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر .

وعن الشافعى : " لو تدبر الناس هذه السورة لو سعتهم " .

وفى رواية عنه : " لو لم ينزل إلى الناس إلا هى لكفتهم " .

وقال غيره : " إنها شملت جميع علوم القرآن " [١]

وقد جاءت هذه السورة فى غاية الإيجاز والبيان ، لتوضيح سبب سعادة الإنسان أو شقاوته ، ونجاحه فى هذه الحياة ، أو خسرانه ودماره [٢]

تفسير آيات السورة :

قال تعالى : (والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

المراد (بالعصر) هذه السورة :

العصر : الدهر ، والجمع : عصور ، وعصار . مصدر عصرت الثوب والعنب ونحوه . والعصير: المعصور والعصارة - نفايته .

---

[١] التحرير والتنوير (١٥ م ٥٢٨) وراجع : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤ م ٥٤٧) مكتبة التراث الإسلامى . سوريا - حلب (١٤٠٠م - ١٩٨٠ م) وروح المعانى (٣٠ / ٢٢٧) .

[٢] صفوة التفاسير للشيخ الصابونى (٣/ ١٧٦٥) .

وقوله تعالى : (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) [١] أى السحائب التى تعتصر بالمطر ، أى تغص .

وقد ورد " العصر " فى القرآن على ستة أوجه : -

الأول : بمعنى العصر الذى هو مصدر عصر العنب ونحوه . قال تعالى : (إنى أرانى اعصر خمرا) . [٢]

الثانى : بمعنى النجاة من القحط : (يغاث الناس وفيه يعصرون) [٣] أى : ينجون من القحط .

الثالث : بمعنى الدهر . قاله ابن عباس وغيره . فالعصر مثل الدهر ومنه قول الشاعر :

سبيل الهوى وعر وبحر الهوى غمر ويوم الهوى شهر وشهر الهوى دهر

أىّ عصر اقسم الله به - عز وجل - لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها ، وما فيها من الدلالة على الصانع .

الرابع : بمعنى الليل والنهار ، كالقمرين : للمس والقمر .

قال حميد بن ثور :

ولن يلبث العصران : يوم وليلة إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

الخامس : صلاة الغداة والعشى .

قال الشاعر :

---

[١] سورة النبأ / ١٤

[٢] سورة يوسف / ٣٦ .

[٣] سورة يوسف / ٤٩ .

وأمطلـــه العصريـــن حتـــى يملنـــــى ويرضى بنصف الدين والأنف راغـــم .

السادس : بمعنى صلاة العصر :

قال تعالى : (والعصر . إن الإنسان لفى خسر)

ويطلق العصر على الصلاة المؤقتة بوقت العصر .

وهى المراد بالوسطى فى قوله تعالى : (حافظوا على الصلـــوات والصـــلاة الوسطى) [١]

وجاء فى الحديث الذى رواه الإمام البخارى عن ابن عمر ان رســـول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله . [٢]

وروى الإمام البخارى أيضا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قـــال : " من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله " [٣]

وورد فى الحديث الصحيح : " ثلاثة لا يكلهم الله يوم القيامة " فنكر : ورجـل حلف يمينا فاجرة بعد العصر على سلعة لقد اعطلى بها ما لم يعطى "

---

[١] سورة البقرة / ٢٣٨ .

[٢] صحيح البخارى - كتاب مؤاقيت الصلاة - باب إثم من فاتته صلاة العصر .

[٣] صحيح البخارى - كتاب مواقيت الصلاة - باب م ترك صلاة العصر ز وراجـــع الأوجـــه الستة فى بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بـــن يعقـــوب الفيروز أبادى (٤ م ٧١) ت : الأستاذ / عبد العليم الطحاوى . ط : المجلس الأعلـــى الشئون الإسلامية - القاهرة (١١٢ هـــ ، ١٩٩٢ م ٩ وتفسير غريب القـــرآن لأبـــى محمد عبد الله بن مسلم قتيبية ص (٥٣٨) ت : السيد احمد صقر - دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨ هـــ - ١٩٧٨م .

ويطلق العصر على مدة معلومة لوجود جيل من الناس ن أو ملك أو نبـــى ، أو دين ويتعين بالإضافة فيقال : عصر إبراهيـــم ، وعصـــر الإســكندر ، وعصـــر الجاهلية ، وعصر الإسلام .

قال صاحب التحرير : " ويجوز أن يراد عصر الإسلام كله ن وهـــو خاتمـــة عصور الأديان لهذا العالم .

وقد مثل النبى - صلى الله عليه وسلم - عصر الأمة الإسلامية بالنسبة إلـــى عصر اليهود ، وعصر النصارى بما بعد صلاة العصر إلى غروب الشـــمس بقولـــه " مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون عملا إلى الليـــل ، فعملوا إلى نصف النهار ، فقالوا : لا حاجة لنا إلى أجرك ، فاستأجر آخرين فقـــال : أكملوا بقية يومكم ولكم الذى شرطت ، فعملوا إذا كان حين صلاة العصر قالوا ؟ لـــك ما عملنا فاستأجر قوما فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشـــمس ، واســتكملوا أجـــر الفريقين " [١]

فلعل ذلك التمثيل النبوى له اتصال بالرمز إلى عصر الإسلام فى هذه الآية .

ثم قال : ومناسبة القسم بالعصر لغرض السورة على إرادة عصـــر الإســـلام ظاهرة ، فإنها بينت حال الناس فى عصر الإسلام بين مـــن كفـــر بـــه ومـــن آمـــن واستوفى حظه من العمال التى جاء بها الإسلام . [٢]

قال مالك : من حلف ألا يكلم رجلا عصرا لم يكلمه سنة ولو حلف ألا يكلمـــه العصر لم يكلمه أبدا لأن العصر هو الدهر .

---

[١] صحيح البخارى - كتاب مواقيت الصلاة - باب : من أدرك ركعة م العصر قبل الغروب .
[٢] التحرير والتنوير (٣٠ / ٥٣٠) .

قال القاضى - رضى الله عنه - إنما حمل مالك يمين الحالف ألا يكلم أمرا عصرا على السنة ، لنه اكثر ما قيل فيه ، وذلك على أصله فى تغليظ المعنى فى الإيمان .

وقال الشافعى : يبر بساعة إلا أن تكون له نية ، وبه أقول إلا ان يكون الحالف عربيا فيقال له : ما رأيت ؟ فإذا فسره بما يحتمل قبل منه ، وإن كان الأقل ، ويجىء على مذهب مالك أن يحمل على ما يفسر . والله أعلم . [١]

وقت العصر :

أشهر إطلاق لفظ العصر أنه علم بالغلبة لوقت ما بين آخر وقت الظهر وبين اصفرار الشمس ومبدؤه إذا صار ظل الجسم مثله بعد القدر الذى كان عليه عند وزال الشمس ويمتد إلى أن يصير ظل الجسم مثل قدره بعد الظل الذى كان له عند زوال الشمس وذلك وقت اصفرار الشمس والعصر مبدأ العشى ، ويعقبه الأصيل والاحمرار ، وهو ما قبل غروب الشمس .

قال الحارث بن حلزة :

آنست نبأة وأفزعها القنا ... ص وقد دنا الإمساك

فذلك وقت يؤذن بقرب انتهاء النهار . [٢]

---

[١] أحكام القرآن لأبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى (٤ / ١٩٧٩) ت : على محمد البيجاوى - دار الفكر العربى .

[٢] التحرير والتنوير (٣٠ / ٥٢٩) وراجع فى ذلك أيضا : تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٧٥٢٢) ط : دار الغد العربى - الطبعة الولى (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م).

حكمة الله - عز وجل - من القسم بهذا الوقت :

أقسم - سبحان - بالعصر لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار ن وتعاقب الظلام والضياء ، فإن فى ذلك دلالة بينة على الصانع - عز وجل - وعلى توحيده [١] .

قال تعالى : (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو شكورا [٢] . وهذا الوقت يذكر بخلقة الشمس والأرض ونظام حركة الأرض حول الشمس وهل الحركة التى يتكون منها الليل والنهار كل يوم ، وهو من هذا الوجه كالقسم بالضحى وبالليل والنهار وبالفجر من الأحوال الجوية المتغيرة يتغير توجه شعاع الشمس نحو الكرة الأرضية .

وفى ذلك الوقت يتهيأ الناس للانقطاع عن أعمالهم فى النهار كالقيام على حقولهم وجناتهم ، وتجارتهم فى أسواقهم فيذكر بحكمة نظام المجتمع الإنسانى وما ألهم الله فى غريزته من دأب على العمل ، ونظام لابتدائه وانقطاعه ، وفيه يتحفز الناس للإقبال على بيوتهم لمبيتهم / والتأنس بأهليهم وأولادهم ، وهو من النعمة أو النعيم ، وفيه إيماء إلى التذكير بمثل الحياة حين تدنو آجال الناس بعد مضى أطوار الشباب والاكتهال والهرم . [٣]

وذكر الرازى - رحمه الله تعالى - فى تفسيره الكبير بعض الحكم من قسم الله - عز وجل - فى ذلك الوقت فقال :

والسبب فيه وجوه :

---

[١] فتح القدير الجمع بين فتى الراوية والدراية من علم التفسير لمحمد بن على الشوكانى (٥/ ٤٩١) ط : دار الفكر ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م .

[٢] سورة الفرقان / ٦٢ .

[٣] التحرير والتنوير (٣٠ / ٥٢٩) .

أحدها : أنه اقسم – تعالى – بالعصر كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة ، فإن كل بكرة كأنها القيامة يخرجون من القبور ، وتصير الأموات أحياء ، وقائم الموازين ، وكل عشية تشبه تخريب الدنيا بالصعق والموت .

وكل واحدة من هاتين الحالتين شاهد عدل ثم لم يحكم الحاكم عقيب الشاهدين عد خاسرا فكذا الإنسان العاقل عنهما فى خسر .

ثانيها : قال الحسن – رحمة الله – إنما أقسم بهذا الوقت تنبيها على أن الأسواق قد دنا وقت انقطاعها ، وانتهاء التجارة والكسب فيها فإذا لم تكتسب ودخلت الدار وطاف العيال عليك سألك كل أحد ما هو حقه فحينئذ تخجل فتكون من الخاسرين

فكذلك تقول : والعصر ، أى عصر الدنيا قد دنت القيامة وأنت بعد لم تستعد وتعلم أنك تسأل غدا عن النعيم الذى كنت فيه فى دنياك ، وتسأل فى معلمتك مع الخلق ، وكل أحد من المظلومين يدعى ما عليك فإذا أنت خاسر ونظيره ☹ (اقترب للناس حسابها وهم فى غفلة معرضون) [١]

ثالثها : أن هذا العصر معظم ، والدليل عليه قوله _ عليه السلام _ : " من حلف بعد العصر كاذبا لا يكلمه الله ولا ينظر إليه يوم القيامة "

فكما أقسم فى حق الرابح بالضحى فكذا أقسم فى حق الخاسر بالعصر ، وذلك أنه أقسم بالضحى فى حق الرابح وبشر الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ إن أمره إلى الإقبال ، وههنا فى حق الخاسر توعد أن أمره إلى الإدبار

ثم كأنه يقول : بعض النهار باق فيحثه على التدارك فى البقية بالتوبة

رابعها : روى أن امرأة كانت تصيح فى سكك المدينة وتقول : دلونى على النبى _صلى الله عليه وسلم _ فرآها رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ فسألها ماذا حدث ؟

---

[١] سورة الأنباء | ١ .

قالت : يا رسول الله . إن زوجى غاب عنى فزنيت فجاءنى ولد من الزنا فألقيت الولد فى دن من الخل حتى مات ثم بعنا هذا الخل فهل لى من توبة ؟

فقال _ عليه السلام _ : أما الزنا فعليك الرجم ، وأما قتل الولد فجزاؤه جهنم ، وأما بيع الخل فقد ارتكبت كبيرا ، لكن ظننت أنك تركت صلاة العصر .

ففى هذا الحديث إشارة إلى تفخيم أمر هذه الصلاة .

خامسها : أن صلاة العصر بها يحصل ختم طاعات النهار فهى كالتوبة بها يختم الأعمال فكما تجب الوصية بالتوبة كذا بصلاة العصر ، لأن الأعمال بخواتيمها فأقسم بهذه الصلاة تفخيما لشأنها ، وزيادة توصية المكلف على أدائها ، وإشارة منه أنك إن أديتها على وجهها عاد خسرانك ربحا ، كما : (إلا الذين آمنوا) [١]

القسم الوارد فى سورة (العصر) ونوعه :

القسم لا يكون إلا بالله _ تعالى _ أو صفة من صفاته

روى عمر _ رضى الله عنه _ أن النبى _ صلى الله عليه وسلم _ أدركه وهو يحلف بأبيه فقال : إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت .

قال عمر : فما حلفت بها بعد ذاكرا ولا آثرا _ يعنى : ولا حاكيا لها عن غيرى وعن ابن عمر أن النبى _ صلى الله عليه وسلم _ قال : " من حلف بغير الله فقد أشرك " [٢]

وهنا يرد تساؤل مؤاده : كيف أقسم المولى _ عز وجل _ بالخلق وقد ورد النهى عن القسم بغير الله ؟

---

[١] التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازى (١٦ | ٦٢١) ط ك دار الغد العربى _ الطبعة الأولى (١٤١٢ _ ١٩٩٢م)

[٢] اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان _ حديث رقم ١٠٦٦

أحدها : أنه على حذف مضاف ، أى : ورب التين ، ورب الشمس ، وكذا الباقى .

الثانى : أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه ، والله _ تعالى ليس شى فوقه ، فأقسم تارة بنفسه ، وتارة بمصنوعاته ، لأنها تدل على بارئ وصانع .

وقال ابن أبى الأصبع فى أسرار الفواتح : القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع ، لأن ذكر المفعول يستلزم ذلك الفاعل ، إذا يستحيل وجود مفعول بغير فاعل .

وأخرج ابن أبى حاتم عن الحسن قال : " إن الله يقسم بما شاء من خلقه ، وليس لأحد يقسم إلا بالله [١]

المخلوقات التى أقسم الله بها :

إن الله _ عز وجل _ أقسم ببعض مخلوقاته ليبين أهميتها وتأثيرها فى حياة الإنسان فقد أقسم _ عز وجل بحياة نبيه _ صلى الله عليه وسلم _ وذلك فى قوله تعالى : (لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون) [٢] لتعرف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه .

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : ما خلق الله ولا ذرا ولا برا نفسا أكرم عليه من محمد _ صلى الله عليه وسلم _ وما سمعت الله اقسم بحياة أحد غيره"[٣] .

---

[١] الإتقان للسيوطى (٤ | ٤٧) النوع السابع والستون فى : أقسام القرآن

[٢] سورة الحجر | ٧٢

[٣] الدر المنثور (٤ | ١٩٢) والإتقان (٤ | ٤٨)

وأقسم بالملائكة فقال _ تعالى _ : (والصافات صفا . فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا . إن إلهكم لوحدا . رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق) [١]

وقوله _ سبحانه _ والمرسلات عرفا _ فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا . عذرا أو نذرا . إنما توعدون لواقع) [٢]

وفى قوله سبحانه : (والنازعات غرقا . والناشطات نشطا . والسابحات سبحا . فالسابقات سبقا . فالمدبرات أمرا يوم ترجف الراجفة) [٣]

فقد قال الكشاف فى تفسيرها : " أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التى تنزع الأرواح من الأجساد ، وبالطوائف التى تنشطها ، أى تخرجها _ من نشط الدلو _ من البئر إذا أخرجها _ وبالطوائف التى تسبح فى مصيها _ أى تسرع فتسبق إلى ما أمروا به _ فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم فى دينهم أو دنياهم كما رسم لهم [٤] .

وأقسم بجبل الطور فقال : (والطور وكتاب مسطور . فى رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور . إن عذاب ربك لواقع . ماله من دافع)[٤] .

وأقسم _ سبحانه _ بالخيل : قال تعالى : (والعاديات صبحا _ فالموريات قدحا . فالمغيرات صبحا . فأثرت به نقعا . فوسطن به جمعا . إن الإنسان لربه لكنود) [٥] .

---

[١] سورة الصافات (١ : ٥)

[٢] سورة المرسلات ١ : ٧

[٣] سورة النازعات ١ : ٦

[٤] الكشاف لأبى القاسم جار الله الزمخشرى (٤ | ٢١١) ط : دار الفكر (د إت) ط : دار الفكر (د | ت)

[٤] سورة الطور | ١ : ٨

[٥] سورة العاديات | ١ : ٦

وأقسم _ سبحانه _ بالسماء : قال تعالى : (والسماء ذات الحبك . إنكم لفى قول مختلف . يؤفك عنه من أفك) [١] وقوله : (والسماء والطارق . وما أدرك ما الطارق . النجم الثاقب . إن كل نفس لما عليها حافظ) [٢] وقوله : (والسماء ذات الرجع) [٣] ، وقوله تعالى _ : (والسماء وما بناها) [٤]

وأقسم _ سبحانه _ بالكواكب : قال تعالى : (والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى) [٥] وقوله : (والقمر إذا اتسق) [٦]

وأقسم _ سبحانه _ بالأرض : قال تعالى : (والأرض ذات الصدع . إنه لقول فصل) [٧] ، وقوله _ تعالى : (والأرض وما طحاها) [٨]

وأقسم بالأزمنة : وذلك فى قوله _ تعالى : (والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر . إنها لإحدى الكبر . نذيراً للبشر) [٩]

وقوله عز وجل : (والليل إذا عسس والصبح إذا تنفس) [١٠]

وقوله _ تعالى (والفجر . وليال عشر . والشفع والوتر والليل إذا يسر) [١١]

---

[١] سورة الذاريات ٧ | ٧ _ ٩)
[٢] سورة الطارق ١ : ٤ آية ١١ :
[٣] سورة الشمس | ٥
[٤] سورة النجم | ١ ، ٢
[٥] سورة المدثر | ٢٣
[٦] سورة الإنشقاق | ١٨ .
[٧] سورة الطارق | ١٢ ، ١٣ .
[٨] سورة الشمس | ٦ .
[٩] سورة المدثر | ٣٢ _ ٣٦ .
[١٠] سورة التكوير | ١٧ ، ١٨
[١١] سورة الفجر | ١ : ٤

وقوله _ تعالى : (والنهار إذا جلاها . والليل إذا يغشاها) [١]

وقوله _ عز وجل : (والليل إذا يغش . والنهار إذا تجلى) [٢]

وقوله تعالى : (والضحى . والليل إذا سجى) [٣]

وقوله تعالى : (واعصر . إن الإنسان لفى خسر) [٤]

الحقائق التى أقسم الله عليها :

ذكر ابن القيم _ رحمة الله تعالى _ أن الله _ عز وجل _ أقسم على أصـــول الإيمان التى يجب على الخلق معرفتها .

فتارة يقسم على التوحيد .

وتارة يقسم على أن القرآن حق .

وتارة يقسم على أن الرسول حق .

وتارة يقسم على الوعد الوعيد .

وتارة يقسم على حال الإنسان . [٥]

---

[١] سورة الشمس | ٣ ، ٤ .

[٢] سورة الليل | ١ ، ٢

[٣] سورة الضحى | ١ ، ٢

[٤] سورة العصر | ١ ، ٢

[٥] التبيان فى أقسام القرآن لشمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزيـــة ص (٧) مكتبة المتنبى - القاهرة (د/ ت) .

فالأول : القسم على التوحيد :

ومنه قوله تعالى : (والصافات صفا . فالزاجرات زجرا . فالتاليات ذكرا . إن إلهكم لواحد) [١]

وقوله – تعالى : (لقد كفر الذين قالوا عن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) [٢] .

الثانى : القسم على أن القرآن حق :

ومنه قوله – تعالى : (فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم . فى كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون) [٣]

وقوله – تعالى : (حم . والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) [٤] .

وقوله – تعالى : (حم . والكتاب المبين . إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين) [٥] .

الثالث : القسم على أن الرسول – صلى الله عليه وسلم من المرسلين بالتوحيد :

ومنه قوله تعالى : (يس والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين) [٦]

---

[١] سورة الصافات / ١: ٤ .

[٢] سورة المائدة / ٧٣ .

[٣] سور ة الواقعة / ٧٥ : ٧٧ .

[٤] سورة الزرخرف / ١: ٣ .

[٥] سورة الدخان / ١ ك٣ .

[٦] سورة يس / ١ : ٣ .

وقوله – تعالى : (والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى) [١]

الرابع : القسم على الجزاء والوعد والوعيد :

ومنه قوله – تعالى : (والذاريات ذروا . فالحاملات وقرا . فالجاريات يسرا ، فالمقسمات أمرا . إنما توعدون لصادق . وإن الدين لواقع) . [٢]

وقوله تعالى : (والمرسلات عرفا ز فالعاصفات عصفا . والناشرات نشرا . فالفارقات فرقا . فالملقيات ذكرا . عذرا ونذرا . إنما توعدون لواقع) [٣]

ثم ذكر تفصيل الجزاء ، وذكر الجنة والنار ، وذكر أن فى السماء رزقهم وما يوعدون فقال تعالى : (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطلقون)[٤] .

وقوله – تعالى : (والطور . وكتاب مسطور . فى رق منشور – والبيت المعمور والسقف المرفوع . والبحر المسجور . إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع)[٥] .

الخامس : القسم على الوعد :

" وتارة يقسم سبحانه على تحقيق الوعد للرسل والمؤمنين فى الدنيا والآخرة وذلك فى قوله – تعالى – للمجاهدين فى سبيله التشجيع .

كقوله تعالى : (ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) [٦] .

---

[١] سورة النجم / ١، ٢ .

[٢] سورة الذاريات / ١: ٦ .

[٣] سورة المرسلات / ١: ٧ .

[٤] سورة الذاريات / ٢٣ .

[٥] سورة الطور / ١: ٨

[٦] سورة آل عمران / ١٥٧ .

وقوله : (ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله إنى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) [١]

وقسمه – سبحانه – على تحقيق رؤيا ، وقسمه كذلك للمسلمين على انهم سيدخلون المسجد الحرام معتمرين أو حاجين متحللين من إحرامهم بالحلق والتقصير فى قوله تعالى : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون . [٢]

السادس : القسم على الوعيد :

وتارة يقس سبحانه على تحقق الوعيد للكفار والعصاة فى الدنيا والآخرة للزجر والتخويف كقوله – تعالى – لبنى إسرائيل : (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) [٣] .

وقوله عنهم – أيضا : (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق . ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) [٤] .

---

[١] سورة المائدة / ١٢

[٢] سورة الفتح / ٢٧ .

[٣] سورة البقرة / ٦٥ .

[٤] سورة آل عمران / ١٨١ ، ١٨٢ وراجع القسم فى القرآن الكريم " د. محمد عبد السلام محمد أبو النيل – حوليه كلية أصول الدين والدعوة بطنطا – العدد الخامس ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .

السابع : القسم على حال الإنسان :

وتارة أخرى يقسم على حال الإنسان ومنه قولـــه – تعـــالى – (والليـــل إذا يغشى والنهار إذا تجلى . وما خلق الذكر والأنثى . إن ســـعيكم لشـــتى) [١] ولفـــظ السعى هو العمل ، لكن يراد به العمل الذى يهتم به صاحبـــه ويجـــهد فيـــه بحســـب الإمكان .

الثامن : القسم على صفة الإنسان :

وأقسم على صفة الإنسان بقوله : والعاديات ضبحـــا . فالموريـــات قدحـــا . فالمغيرات صبحا . فأثرن به نقعا . فوسطن به جمعا . إن الإنسان لربه لكنود) [٢]

واقسم على عاقبته و هو قسم على الجزاء فـــى قولـــه : (والعصـــر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بـــالحق وتواصـــوا بالصبر) [٣] .

وفى قوله : (والتين والزيتون . وطور سنين . وهذا البلـــد الأميـــن ، لقـــد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين ز إلا الذين آمنوا وعملـــوا الصالحات [٤] .

وحذف جواب القسم ن لأنه قد علم بأنه يقسم علـــى هـــذه الأمـــور وهـــى متلازمة ، فمتى ثبت أن الرسول حق ثبت القرآن والمعاد . ومتى ثبت أن القرآن حق

---

[١] سورة الليل م ١ : ٤ .

[٢] سورة العاديات / ١: ٦

[٣] سورة العصر .

[٤] سورة التين / ١: ٦ .

ثبت صدق الرسول الذى جاء به . ومتى ثبت أن الوعد والوعيد حق ثبت صدقه وصدق الكتاب الذى جاء به . [١]

وقوله : " إن الإنسان لفى خسر "

جواب القسم ، والألف واللام فى " الإنسان " يحتمل أن تكون للجنس ، وأن تكون للعهد . ولهذا ذكر المفسرون فيه قولين : -

القول الأول : إن المراد منه الجنس ، كقولهم : كثر الدرهم فى أيدى الناس ويدل على هذا القول : استثناء الذين آمنوا من الإنسان .

القول الثانى : المارد منه شخص معين .

قال ابن عباس : يريد جماعة من المشركين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ، والسود بن عبد المطلب .

وقال مقاتل : نزلت فى أبى لهب ، وفى خبر مرفوع إنه أبو جهل .

والخسر والخسران : معناه النقصان وذهاب راس المال .

وفيه تفسيران : وذلك لن غذ حملنا الإنسان على الجنس كان معنى الخسر : هلال نفسه وعمره : إلا المؤمن العاقل فإنه ما هلك عمره وماله ، لأنه اكتسب بهما سعادة أبدية .

وإن حملنا لفظ " الإنسان " على الكافر كان المراد كونه فى الضلالة والكفر إلا من آمن من هؤلاء فحينئذ يتخلص من تلك الخسارة إلى الربح [٢]

والأول أول لما فى لفظ " الإنسان " من العموم ، ولدلالة الاستثناء عليه

---

[١] التبيان فى أقسام القرآن (ص ١٠) .

[٢] مفاتيح الغيب للرازى (٣٢ / ٦٢٤)

يقول صاحب التحرير : وتعريف " الإنسان " تعريف الجنس مراد به الاستغراق ، وهو استغراق عرفى ، لأنه يستغرق أفراد النوع الإنسانى الموجودين فى زمن نزول الآية ، وهو زمن ظهور الإسلام ومخصوص بالناس الذين بلغتهم الدعوة فى بلاد العالم على تفاوتها ، ولما استثنى منه الذين آمنوا وعملوا الصالحات بقى حكمه تحققا فى غير المؤمنين .

والخسر : مصدر ، وهو ضد الربح فى التجارة ، استعير هنا بسوء العاقبة لمن يظن لنفسه عاقبة حسنة ،وتلك هى العاقبة الدائمة ، وهى عاقبة الإنسان فى أخرته من نعيم أو عذاب .

والظرفية فى قوله : (لفى خسر) مجازية شبهت ملازمة الخسر بإحاطة الظرف بالمظروف فكانت أبلغ من أن يقال : " إن الإنسان لخاسر " أو لفى الخسر . لأن التنكير يفيد التهويل تارة ، والتحقير أخرى .

ومجىء هذا الخبر على العموم مع تأكيده بالقسم ، وحرف التوكيد وجوابه يفيد التهويل والإنذار بالحالة المحيطة بمعظم الناس " . [1]

ومعنى (إن الإنسان لفى خسر)

إن الإنسان لا ينفك عن خسر ، لأن الخسر هو تضييع راس المال ، وراس ماله هو عمره وهو قلما ينفك عن تضييع عمره ز وذلك لأن كل ساعة تمر بالإنسان فإنه كانت مصروفة إلى المعصية فلا شك فى الخسران ، وإن كانت مشغولة بالمباحات فالخسران أيضا حاصل . لنه كما ذهب لم يبق منه أثر ، مع أنه كان متمكنا من أن يعمل فيه عملا يبقى أثره دائما وإن كانت مشغولة بالطاعات فلا طاعة إلا ويمكن الإتيان بها أو بغيرها على وجه أحسن من ذلك ، لن مراتب الخضوع والخشوع لله غير متناهية ، فإن مراتب جلال الله وقهره غير متناهية

---

[1] التحرير والتنوير (١٥/ ٥٣٠) ومفاتيح الغيب للفخر الرازى (١٦ / ٦٢٥) .

وكلما كان علم الإنسان بها أكثر كن خوفه منه تعالى – أكثر ، فكان تعظيمه عند الإتيان بالطاعات أتم وأكمل ، وترك الأعلى والاقتصار بالأدنى نوع خسران . [١]

" وكل خسران ذكره الله تعالى – فى القرآن فهو على هذا المعنى الأخير دون الخسران المتعلق بالمقتنيات الدنيوية ، والتجارات المالية " [٢]

قوله تعالى : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) .

" الاستثناء متصل على الاستغراق ، ومن قال : إن المراد بالإنسان الكافر فقط فيكون الاستثناء منقطعا ، ويدخل تحت هذا الاستثناء كل مؤمن مؤمنة "

ولا وجه لما قيل من أن المراد : الصحابة أو بعضهم فإن اللفظ عام يخرج عنه ممن يتصف بالإيمان ، والعمل الصالح . [٣]

ويقول صاحب التحير : " وأعقب بالاستثناء بقوله : " إلا الذين آمنوا "

" فيتقرر الحكم تاما فى نفس السامع مبينا أن الناس فريقان :-

فريق يلحقه الخسران ، وفريق لا يلحقه شىء منه

فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يلحقهم الخسران بحال إذا لم يتركوا شيئا من الصالحات بارتكاب أضدادها وهى السيئات . [٤]

---

[١] المصدر السابق (١٦ / ٦٢٦) .

[٢] بصائر دوى التميز (٢ / ٥٣٨) .

[٣] فتح القدير للشوكانى (٥ / ٤٩٢) .

[٤] التحرير والتنوير (١٥ / ٥٣١) .

علاقة العمل بالإيمان من خلال الآيات القرآنية

الإيمان فى اللغة :

الأمن : ضد الخوف ، والإيمان ضد الكفر ، والإيمان بمعنى : التصديق ، ضده التكذيب . [١]

ومعنى الإيمان : " لفظ يستعمل متعديا بنفسه كقولك : آمنت فلانا أى : أعطيته الأمان ، ومنه قوله – تعالى : (وآمنهم من خوف) [٢] ويستعمل لازما يتعدى بالباء واللام فيكون معناه : التصديق .

ومنه قوله – تعالى : (قولوا آمنا بالله) [٣]

وقوله – تعالى : (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم) [٤] وقوله تعالى : (وما أنت بمؤمن لنا) [٥] وعلى هذا فلفظ " الإيمان " له إطلاقان فى اللغة :

---

[١] لسان العب لابن منظور – مادة : أمن .

[٢] سورة قريش / ٤ .

[٣] سورة البقرة / ١٣٦ .

[٤] سورة البقرة / ٧٥ .

[٥] سورة يوسف /

الأول : إعطاء الأمان

وإذا كان الإيمان فى اللغة يأتى بمعنى التصديق فليس المارد بما هو حق ، بل المراد مطلق التصديق ، أى بحق أو بباطل [١] وقد استعمل القرآن الكريم الإيمان لغة بهذا المعنى أما حقيقة الإيمان الشرعية فقد اختفت فيها الأنظار والآراء .

وأولاها أن الإيمان هو : الإقرار باللسان ، والتصديق بالجنان ، والعمل بالأركان بذلك وردت جميع آيات القرآن .

يقول الفيروز أبادى : " وقد ورد – الإيمان – فى التنزيل على خمسة أوجه:

الأول : بمعنى إقرار اللسان : (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا) [٢] أى آمنوا باللسان ، وكفروا بالجنان .

الثانى : بمعنى التصديق فى السر والإعلان : (عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) [٣]

الثالث : بمعنى التوحيد وكلمة الإيمان : (ومن يكفر بالإيمان فقط حبط عمله)[٤] أى بكلمة التوحيد .

الرابع : إيمان فى ضمن شرك المشركين أولى الطغيان : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) [٥] وقولنا : إيمان فى ضمن الشرك هو معنى : (ولئن

---

[١] الإيمان والخروج عن دائرته فى ضوء القرآن والسنة - أ . د م القصبى محمود زلط - حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا ص (٨) العدد الثانى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م وراجع فى ذلك : تفسير الكشاف(١/١٢٦) والبحر المحيط لبى حيان(١/٦٥) ط: دار الفكر ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م . وتفسير القرطبى الجامع لحكام القرآن(١/٢١٠)

[٢] سورة المنافقون / ٣ .

[٣] سورة البنية / ٧ .

[٤] سورة المائدة / ٥ .

[٥] سورة يوسف / ١٠٦ .

سألتهم من خلقهم ليقولن الله) [١]

الخامس : بمعنى الصلاة : (وما كان الله ليضيع إيمانكم) [٢]

قال أبو القاسم : الإيمان يستعمل تارة اسما للشرعية التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم - : (عن الذين آمنوا والذين هادوا) [٣] ويوصف به كل من دخل فى شريعته ، مقرا بالله وبنبوته .

وتارة يستعمل على سبيل المدح ، ويراد به عان النفس للحق على سبيل التصديق وذلك باجتماع ثلاثة أشياء : تحقيق بالقلب ، وإقرار باللسان وعمل بحسب ذلك بالجوارح .

ويقال لكل واحد من الاعتقاد ، والقول الصدق ، والعمل الصالح : إيمان [٤] "والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله ، وكتبه ، ورسله ، وتصديق الإقرار بالفعل " .

وقال ابن كثير : إن الإيمان الشرعى المطلوب لا يكون إلا اعتقادا ، وقولا ، وعملا .

وهكذا ذهب إلي أكثر الأئمة . بل قد حكاه الشافعى ، وأحمد بن حنبل ، وأبو عبيد ، وغير واحد إجماعا : أن الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص ، وقد وردت فيه آيات كثيرة [٥] وقد عقد ابن القيم فصلا بين فيه الإيمان المراد فى آيات القرآن ، واختلاف الأنظار والآراء فيه فقال : " وأما الإيمان فأكثر الناس او كلهم يدعونه :

---

[١] سورة الزخرف / ٨٧ .

[٢] سورة البقرة / ١٤٣ .

[٣] سورة البقرة / ٦٢ .

[٤] بصائر ذوى التميز (٢ / ١٥٠) وراجع فى ذلك : الوجوه والنظائر للفاظ كتاب الله العزيز لبى عبد الله الحسين بن محند الدامغانى (١ م ١٣٧) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث ط (١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) .

[٥] راجع تفسير ابن كثير (١ / ٤٠) وفتح القدير للشوكانى (١ / ٣٤) .

(وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) [١] وأكثر المؤمنين إنما عندهم إيمان مجمل .

وأما الإيمان المفصل بما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم – معرفة ، وعلما ، وإقرارا ، ومحبة ، ومعرفة بضده وكراهيته ، وبغضه ، فهذا إيمان خواص الأمة ، وخاصة الرسول ، وهو إيمان الصديق وحزبه .

وكثير من الناس حظهم من الإيمان : الإقرار بوجود الصانع ، وانه وحده هو الذى خلق السموات والأرض وما بينهما ، وهذا لم ينكره عباد الأصنام من قريش ونحوهم .

وآخرون الإيمان عندهم هو التكلم بالشهادتين سواء كان معه عمل أو لم يكن ، وسواء والفق تصديق القلب أو خالفه .

وآخرون عندهم الإيمان مرد تصديق القلب بأن الله – سبحانه وتعالى – خلق السموات والأرض ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وغن لم يقر بلسانه ولم يعمل شيئا ، ب ولو سب الله ورسوله ، واتى بكل عظيمة ، وهو يعتقد وحدانية الله ونبوة رسوله فهو مؤمن .

وآخرون عندهم الإيمان هو جحد صفات الرب – تعالى – من علوه على عرشه ، وتكلمه بكلماته ، وكتبه ، وسمعه ، وبصره ، ومشيئته ، وقدرته ، وإرادته ، وحبه ، وبغضه ، وغير ذلك مما وصف بع نفسه ، ووصفه به رسوله ، فالإيمان عندهم إنكار حقائق كله ، ومجده ، والوقوف مع ما تقتضيه أراء المتهوكين [٢] وأفكار المخرصين الذين يرد بعضهم على بعض وينقض بعضهم قول بعض ، الذين هم كما قال عمر بن الخطاب والإمام أحمد : تختلفون فى الكتاب ، مخالفون للكتاب ، متفقون على مفارقة الكتاب .

---

[١] سورة يوسف / ١٠٣ .

[٢] المتهكون : المتحيرون .

وآخرون عندهم الإيمان عبادة الله بحكم أذواقهم ومواجيدهم وما تهواه نفوسهم من غير تقيد بما جاء به الرسول .

وآخرون : الإيمان عندهم ما وجدوا عليه آباءهم وأسلافهم بحكم الاتفاق كائنا ما كان ، بل إيمانهم مبنى على مقدمتين :

إحداهما : أن هذا قول أسلافنا وآبائنا .

والثانية : أن ما قالوه فهو الحق .

آخرون عندهم الإيمان : مكارم الأخلاق ، وحسن المعاملة ، وطلاقة الوجه ، وإحسان الظن بكل واحد وتخلية الناس وغفلاتهم .

وآخرون عندهم الإيمان : التجرد من الدنيا وعلائقها ، وتفريغ القلب منها والزهد فيها ، فإذا رأوا رجلا هكذا من سادات أهل الإيمان ، وإن كان متسلخا من الإيمان علما وعملا ن وأعلى من هؤلاء : من جعل الإيمان هو مجرد العلم وإن لم يقارنه عمل .

وكل هؤلاء لم يعرفوا حقيقة الإيمان ، ولا قاموا به ن ولا قام بهم وهم أنواع : منهم من جعل الإيمان ما يضاد الإيمان .

ومنهم من جعله ما هو شرط فيه ولا يكفى فى حصوله .

ومنهم من اشترط فى ثبوته ما يناقضه ويضاده .

ومنهم من اشترط فيه ما ليس منه بوجه .

والإيمان وراء ذلك كله ، وهو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم – علما ، والتصديق به عقدا ، والإقرار به نطقا ، والانقياد له محبة وخضوعا ، والعمل به باطنا وظاهرا ، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان ، وكما له فى الحب فى الله والبغض فى الله والعطاء لله ، والمنع لله وأن يكون الله

وحده إلهه ومعبودة ، والطريق إليه : تجريد متابعة رسوله ظاهرا وباطنا ، وتغميض عين القلب عن الالتفاف إلى سوى الله ورسوله . [١]

وتحت عنوان : زيادة الإيمان ونقصانه كتب الأستاذ الدكتور / جودة المهدى

يقول : " فنجد ست آيات كريمات صرحت بزيادة الإيمان وهى بترتيبها حسب النزول كما يلى : -

١- قوله تعالى : (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين إيمانا إيمانا) [٢]

٢- قوله تعالى : - (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) [٣]

٣- قوله تعالى : - (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون) [٤]

٤- قوله تعالى : - (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما) [٥] .

٥- قوله تعالى : - (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) [٦]

---

[١] الفوائد : لشمس الدين محمد بن ابى بكر قسيم الجوزية - ص (١٤١) ط : دار الصفا ط٤ (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) تعليق : صابر يوسف وراجع كتاب الإيمان ضمن مجموع فتاوى ابن تمية (٧ / ١٨٨) ط ١٤٠٤ .

[٢] سورة المدثر / ٣١ .

[٣] سورة آل عمران / ١٧٣ .

[٤] سورة الأنفال / ٢ .

[٥] سورة الأحزاب م ٢٢ .

[٦] سورة الفتح / ٤ .

٦- قوله تعالى : - (هو الذى أنزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون) [١] .

وإلى زيادة الإيمان ونقصه يقول : أورد الإمام النووى عن ابن بطال : ان التصديق يكمل بالطاعات كلها فكلما ازداد المؤمن من أعمال البر كان إيمانه أكمل ، وبهذه الجملة يزيد الإيمان ، وبنقصانها ينقص ، فمتى تقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان ومتى زادت زاد الإيمان .

وقال فضيلته : إن الإيمان الذى هو قابل للزيادة والنقص إنما هو إيمان البشر من غير التبيين .

أما إيمان الأنبياء والملائكة فهو فى زيادة بلا نقصان . وأما إيمان الله - تعالى - المدلول عليه بقوله - سبحانه : - (المؤمن المهيمن) فهو بلا زيادة ولا نقصان . [٢]

والإيمان إذا أطلق دخلت فيه الأعمال ، لقول النبى صلى الله عليه وسلم : "الإيمان بضع وستون شعبة - أو بضع وسبعون شعبة - أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن طريق ، والحياء شعبة من الإيمان "

وإذا عطف عليه العمل كقوله : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فقد ذكر مقيدا بالعطف ، فهنا قد يقال : الأعمال دخلت فيه ، وعطفت الخاص على العام.[٣]

ونظرا لهذه الإطلاقات الكثيرة فقد اختلف الناس فى مفهوم الإيمان اختلافا كثيرا .

---

[١] سورة التوبة / ١٢٤ .

[٢] قصد السبيل فى التفسير الموضوعى لأى التنزيل د / جودة المهدى ص ٦٦ وما بعدها .

[٣] راجع مقدمة التفسير لابن تيمية (١٣ م ٣٩) ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ط : المساحة العسكرية بالقاهرة ١٤٠٤ . وراجع " الإيمان " لابن تيمية - أيضا - (٧ / ٦٤٧) نفس الطبعة .

والذى يهمنا من ذلك أن السلف أجمعوا على أن الإيمان الكامل الذى ينجى من النار هو ك تصديق بالقلب ونطق باللسان ، وعمل بالجوارح .

وأراد السلف بذلك أن عمل الجوارح شرط فى كمال الإيمان وليس فى صحته وتحققه .

ومن هنا قال السلف : إن الإيمان يزيد وينقص ن فيزداد كما لـه وترتفع مرتبته كلما التزم المؤمن بطاعة الله فى عمل الجوارح ن وتنقص مرتبته ويقل كما له كلما تكاسل العهد عن طاعة الله وقصر فى أداء واجبات الدين وفرائضه " [١]

ومعرفة الإيمان وحدها لا تحقق مفهوم الإيمان فكثير من الناس يعرف ان محمدا رسول الله ، وان ما جاء به حق ، ولكنه لم يقبل ذلك ولم يرض به ولم يعلن عن بوله ورضاه بالإقرار .

هؤلاء جميعا كفار عند الله وعند الناس ، لأن التصديق معناه الإذعان والقبول كما مر .

فمثلا كان أبو طالب يعلم أم محمدا صادق وأن ما جاء به من عند الله حق بل كان يعتقد ذك بقلبه اعتقادا جازما لا يتخلله شك ، ولكنه لم يقبله ولم يرضى به ، ولم يعلن قبوله ورضاه بالإقرار بالشهادتين وقال فى ذلك :

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
أو لا الملامة أو حذار مسبة ... لو جدتنى سمحا بذلك كريما

فهل يقول أحد : إنه مؤمن ؟ !

وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبى – صلى الله عليه وسلم – ويعرفون انه صادق ، وأن ما جاء به حق ، ولكنهم لم يذعنوا ولم ينقادوا فهل يقول أحد إنهم مؤمنون ؟ !

---

[١] النفسير الموضوعى لآيات التوحيد فى القرآن الكريم - د/

قال تعالى : - (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) [١]

ويبين القرآن أيضا : أن المعرفة وحدها لا تكفى فى الإيمان بأى رسول : ففرعون كان يعلم أن الآيات التى جاء بها موسى _ عليه السلام _ من عند الله حق _ وأنه صادق فى ذلك ، وقد أفصح موسى _ عليه السلام _ عن هذا فى دعوته له فقال : (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض) [٢]

وقد سجل القرآن الكريم كفر فرعون لا لعدم علمه بل لعدم إذا عانه الذى لم يخالط قلبه فقال : (وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه قال آمنت أنه لا إله لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ألان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) [٣]

وهكذا بينت آيات القرآن أن المعروفة الإيمانية وحدها لا تكفى فى الإيمان بل لا بد من الإقرار والإذعان وقوله تعالى : (.. وعملوا الصالحات)

التعرف فى قوله : " الصالحات " تعريف الجنس مراد به الاستغراق ، أى عملوا جميع الأعمال الصالحة التى أمروا بعملها بأمر الدين ، وعمل الصالحات يشمل ترك السيئات " [٤]

والأيمان الصالح هما سبب انتفاء إحاطة الخسر بالإنسان ، لكن : هل العمل الصالح غير داخل فى مسمى الإيمان ؟

قال الإمام الفخر : احتج من قال : العمل غير داخل فى مسمى الإيمان بأن الله _ تعالى عطف عمل الصالحات على الإيمان ، ولا يمكن أن يقال هذا التكرير واقع

---

[١] سورة البقرة / ١٤٦ .

[٢] سورة الإسراء | ١٠٢ .

[٣] سورة يؤنس | ٩٠ ، ٩١ . وراجع حولية كلية أصول الدين بطنطا مقال الأستاذ لدكتور|القصبى زلط باختصار وتصرف .

[٤] التحرير والتنوير (١٥ | ٥٣٢) .

فى القرآن كقوله تعالى : ـ (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نـوح) [١] .
وقوله ـ تعالى ـ : (وملائكته ورسله وجبريل وميكال) [٢]

لآنا نقول : هناك إنما حسن ، لأن إعادته تدل على كونه أشرف أنواع ذلـك الكلى ، وعمل الصالحات ليس أشرف أنواع الأمور المسماة بالإيمـان فبطـل هـذا التأويل .

قال الحليمى : هذا التكرير واقع لا محالة ، لأن الإيمان وإن لم يشتمل علـى عمل الصالحات لكن قوله تعالى ـ (واعملوا الصالحات) يشتمل على الإيمان فيكـون قوله تعالى ـ (وعملوا الصالحات) مغنيا عن ذكر قوله تعال (الذين آمنوا) .

وأيضا وقوله ـ تعالى ـ (وعملوا الصالحات) يشتمل علـى قولـه تعـالى (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) فوجب أن يكون ذلك تكرارا .

أجاب الأولون وقالوا : أنا لا تمنع ورود التكرير لأجل التأكيد ، لكن الأصـل عدمه . وهذا القدر يكفى فى الاستلالال .

المسألة الثانية : احتج القاطعون بوعيد الفساق بهذه الآية

قالوا : الآية دلت على أن الإنسان فى الخسارة مطلقا ثم اسـتثنى (الذيـن آمنوا وعملوا الصالحات) والمعلق على الشرطين مفقود عند فقد أحدهما ، فعلنا أن من لم يحصل له الإيمان والأعمال الصالحة لا بد وأن يكون فى الخسار فـى الدنيـا وفى الآخرة . ولما كان المستجمع لهاتين الخلصتين في غاية القلة ، وكان الخسـار لازما لمن لم يكن مستجمعا لهما كان الناجى أقل من الهالك .

ثم قال ـ رحمه الله تعالى ـ

---

[١] سورة الأحزاب | ٧ .
[٢] سورة البقرة | ٩٨ .

المسألة الرابعة : لسائل أن يسأل فيقول : إنه فى جانب الخسر ذكر الحكم ولم ينكر السبب ، وفى جانب الربح ذكر السبب ، وهو الإيمان والعمل الصالح ، ولم يذكر الحكم فما الفرق ؟

قلنا : إنه لم يذكر سبب الخسر لأن الخسر كما يحصل بالفعل وهو الإقدام على المعصية يحصل بالترك ، وهو عدم الإقدام على الطاعة . أما الربح فلا يحصل إلا بالفعل فلهذا ذكر الربح وهو العمل .

وفيه وجه آخر : وهو أنه _ تعالى _ فى جانب الخسر أبهم ولم يفصل ، وفى جانب الربح فصل وبين ، وهذا هو اللائق بالكرم . [١]

وبهذا تبين لنا أنه لا بد من العمل الصالح كى يتحقق الإيمان عند العبد

التواصى بالحق

قوله تعالى : (وتواصوا بالحق) :

(صلة) هذه الجملة بما قبلها : لما بين _ تعالى _ فى أهل الاستثناء أنهم بإيمانهم وعملهم الصالح خرجوا عن أن يكونوا فى خسر وصاروا أرباب السعادة من حيث إنهم تمسكوا بما يؤديهم إلى الفوز بالثواب والتجارة من العقاب وصفهم بعد ذلك بأنهم قد صاروا لشدة محبتهم للطاعة لا يقتصرون على ما يخصهم بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم ليكونوا أيضا سببا لطاعلت الغيركما ينبغى أن يكون عليه أهل الدين . [٢]

وفى ذلك يقول الله _ تعالى _ (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا)[٣] .

---

[١] التفسير الكير للفخر الرازى (١٦ | ٦٢٨) .

[٢] المصدر السابق (١٦ _ ٦٢٨) .

[٣] سورة التحرير | ٦ .

فالتواصى بالحق يدخل فيه سائر الدين علم وعمل ، ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه .

وعطف قوله _ تعالى _ (وتواصوا بالحق) على عمل الصالحات وإن كان ذلك من عمل الصالحات عطف الخاص على العام للاهتمام به .

فالتواصى بالحق يشمل : تعليم حقائق الهدى ، وعقائد الصواب ، وإراضه النفس فهمها ، بفعل المعروف وترك المنكر .

وسوف ألقى الضوء على مسألة الأمر بالمعرف والنهى عن المنكر من خلال النص الشريف (وتواصوا بالحق) .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الأصول التى ركز عليها القرآن الكريم فى كثير من آياته .

١. يقول الله تعالى : _ (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) [١]

يقول الخروبى _ رحمه الله تعالى _ (أمر _ سبحانه _ الأمة المحمدية بأن يكون منها أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، إذ علم الله _ سبحانه _ إن الكل لا يكونون كذلك . وذلك يكون فرض كفاية يحمله من قام به .

والناس فى ذلك مراتب :

ففرض العلماء تنبيه الولاة وحملها على جادة العلم ، وفرض الولاة تغيير المنكر وحمل الناس على الأمر بالمعروف والخير ، وفرض الكافة رفع ذلك إلى الحكام ، ولا يترك المؤمن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بأى وجه أمكن ، وليس الناس فى ذلك سواء ، ويبدأ المؤمن فى ذلك بنفسه ، ثم بمن يليه ، فذلك

---

[١] سورة آل عمران | ١٠٤

أعون له على نفوذ أمره فى الغير ، وفى قبول قوله ، وليكن جاريا فى ذلك على سبيل الحكمة والموعظة الحسنة [١] امتثالا لقوله تعالى _ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) [٢] ثم بين رحمه الله _ شروط من يتصدى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بقوله :

" وليكن صاحب هذا الوظيف صبورا ، حمولا ، شجاعا ، مقداما ، حليما ، يصرف كل وصف فى محله وليقصد بذلك وجه الله ، وطهارة النفوس ، وزكاة الأرواح ، وليستعن على ذلك باستشعار الثواب الموعود على ذلك [٣]

روى أنس بن مالك عن رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ قال : ليؤتين برجال يوم القيامة ليسوا بأنبياء ولا شهداء لمنازلهم من الله يكونون على منابر من نور . قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟

قال : هم الذين يحببون الله إلى الناس ، ويحببون الناس إلى الله ، ويمشون فى الأرض نصحا ، قلنا يا رسول الله هؤلاء يحببون الله إلى الناس فكيف يحبون الناس إلى الله ؟

قال : يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، فإذا أطاعوا أحبهم الله "[٤]

وقد وصفهم الله _ تعالى _ بالفلاح فى ختام الآية فقال : (وأولئك هم المفلحون) .

٢. ويقول الله تعالى _ (كنتم خيرا أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) [٥]

---

[١] راجع : رياض الأزهار وكنز الأرار فى تفسير القرآن لمحمد بن على الخروبى (١ | ٢٣٢) مخطوط

[٢] سورة النحل | ١٥٢ .

[٣] المصدر السابق (١ | ٢٣٢)

[٤] مسند الإمام أحمد بن حنبل (٥ | ٢٩٩) مؤسة قرطبة ترقيم الألبانى

[٥] سورة آل عمران | ١١٠ .

واختلف هذا الوصف عام فى جميع الأمة المحمدية أو فى خواص منـــها ؟ قال الحسن وغيره : المراد جميع الأمة فإنهم خير أمة أخرجت للناس . [١]

قال بن عطية : " ويؤيد هذا التأويل كونهم شهداء على الناس " [٢]

امتثالا لقول المولى جل وعز - : (وكذلك جعلناكم أمـــة وســطا لتكونــوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) [٣]

وقول الله تعالى : - (... وفى هذا يكون الرسول شـــهيدا عليكــم وتكنــوا شهداء على الناس) [٤]

والخيرية التى خص الله بها هذه الأمة إنما يأخذ بحظه منها من قـــامت بـــه هذه الأوصاف من الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر مع الإيمان بالله .

وقد جاء على لسان لقمان الحكيم وهو يعظ ابنه قائلا له :

(يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر وأصبر على ما أصـابك إن ذلك من عزم الأمور) [٥]

ذلك لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر له أهميته البالغة فى اســـتقامة الأفراد واستقرار المجتمعات ل الناس إذا لم يأخذوا على يدى الظـــالم عـــم الفســـاد والظلم والطغيان فى المجتمع أو يعمهم الله بعذاب من عنده .

---

[١] تفسير الثعالبى (١/ ٢٩٩)

[٢] تفسير بن عطية (١/ ٤٨٩) .

[٣] سورة البقرة / ١٤٣ .

[٤] سورة الحج / ٧٨ .

[٥] سورة لقمان / ١٧ .

حكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

حكمه الوجوب الكفائى إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين ، وإذا تركه الجميع إثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف .

ثم إنه يتعين فى بعض الحالات – كما إذا كان فى موضع لا يعلم به إلا هو ، أولا يتمكن من إزالته خلا هو ، وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير فى المعروف فإنه يتعين عليه حينئذ الأمر أو النهى . [١]

وقد عاب القرآن الكريم على اليهود الذين يأتون المنكر ولا ينهون عنه بقوله : لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريـن ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) [٢] .

---

[١] الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأخطاء واجبة التصحيح فى ضوء القرآن والسنة – د/ أحمد سعد الخطيب – حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا – العدد الأول ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ (١ / ٥١) .

[٢] سورة المائدة (/ ٧٨ ، ٧٩) .

التواصى بالصبر

قال تعالى : - (... وتواصوا بالصبر)

اصل كلمة الصبر :

اصل هذه الكلمة هو المنع والحبس فالصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكى والجوارح عن لطم الخدود ، وشق الثياب ونحوهما ويقال : صبر يصبر صبرا ، وصبر نفسه .

قال تعالى : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) [١]

وقال الراغب : الصبر : الإمساك فى ضيق ، يقال صبرت الدابة حبستها بلا علف ، وصبرت فلانا : خلفته خلفة لا خروج له منها .

والصبر : حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع ، أو عما يقتضيان حبسهما عنه ، فالصبر لفظ عام ، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه .

فإن كان حبس النفس لمصيبة سمى صبرا لا غير ويضاده الجزع . وإن كان فى محاربة سمى شجاعة ويضاده الجبن . وإن كان فى نائبه مضجرة سمى رحب الصدر ،و يضاده الضجر . وإن كان فى إمساك الكلام يسمى كتمانا ويضاده المذل [٢] وقد سمى الله تعالى - كل ذلك صبرا ن وابنه عليه بقوله : (والصابرين فلا البأساء والضراء) [٣]

---

[١] سورة الكهف / ١٨ وراجع عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لشمس الدين أبى عبد الله محمد ابن القيم الجوزية ص (٩) ط : دار التراث العربى - ط٢ (١٤٠١ - ١٩٨٠ م)

[٢] المذل : الباذل لما عنده من مال أو سر وكذلك إذا لم يقدر على ضبط نفسه ومذل بسوه لسان العرب - مادة : مذل .

[٣] سورة البقرة / ١٧٧ .

وقوله : (والصابرين على ما أصابهم) [١]

وقوله تعالى : (والصابرين والصابرات) [٢]

وسمى الصوم صبر لكونه كالنوع . [٣]

وقال الإمام أحمد – رحمه الله : – ذكر الله تعالى – الصبر فى القرآن فى نحو من تسعين موضعا ، وهو واجب بإجماع الأمة ، وهو نصف الإيمان ،فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر .

وقد ورد " الصبر " فى القرآن على ستة عشر وجها :

الأول : الأمر به نحو قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين " [٤] (واصبر وما صبرك إلا بالله) [٥]

وقوله تعالى : – (اصبروا وصابروا) [٦]

وقوله – تعالى : (واصبروا إن الله مع الصابرين) [٧]

---

[١] سورة الحج / ٣٥ .

[٢] سورة الأحزاب / ٣٥ .

[٣] المفردات فى غريب القرآن ص (٢٧٣) .

[٤] سورة البقرة / ١٥٣ .

[٥] سورة النحل / ٤٦ .

[٦] سورة آل عمران / ٢٠٠

[٧] سورة الأنفال / ٤٦ .

الثانى : النهى عن ضده كقوله – تعالى : فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) [١] وقوله : (فلا تولوهم الأدبار) [٢] فإن توليه الأدبار : ترك الصبر والمصابرة .

الثالث : الثناء على أهله كقوله – تعالى – (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار) [٣]

وقوله : (والصابرين فى البأساء والضراء حين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) [٤]

الرابع : إيجاب معيته لهم المعية التى تتضمن حفظهم ونصرهم وتأييدهم ليست معية عامة أعنى معية العلم والإحاطة كقوله : (واصبروا إن الله مع الصابرين)[٥] .

الخامس : إيجاب محبته لهم كقوله : (والله يحب الصابرين) [٦] وقوله : (وأن تصبروا خيرا لكم) [٧]

السادس : إخباره بأن الصبر خير لهم كقوله : (ولئن صبرتم لهم خير للصابرين)[٨] وقوله : (وأن تصبروا خير لكم) [٩]

---

[١] سورة الأحقاف / ٣٥ .

[٢] سورة الأنفال / ١٥ .

[٣] سورة آل عمران / ١٧ .

[٤] سورة البقرة / ١٧٧ .

[٥] سورة الأنفال / ٤٦ .

[٦] سورة آل عمران ١٤٦ .

[٧] سورة النساء / ٢٥ .

[٨] سورة النحل / ١٢٦.

[٩] سورة النساء / ٢٥ .

السابع : إيجابية الجزاء لهم بأحسن ما كنوا يعملون كقولـــه – تعـــالى – ولنجزيـــن الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) [٣]

الثامن : إيجابية الجزاء لهم بغير حساب كقوله – تعالى – إنما يوفى الصابون أجرهم بغير حساب) [٤]

التاسع : إطلاق البشرى لأهل الصبر كقوله : (وبشر الصابرين) [٥]

العاشر : ضمان النصر والمدد لهم كقوله – تعالى – بلى إن تصبروا وتتقوا ويـــأتوكم من فور هم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) [٦] وفى الحديـــث : " عن النصر مع الصبر " .

الحادى عشر : الإخبار أن أهل الصبر مع أهل العزائم كقوله تعالى :

(ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) [٧]

الثانى عشر : الإخبار – أنه ما يلقى الأعمال الصالحة وجاءها إلا أهل الصبر كقولـــه تعالى : (.. ويلكم ثواب الله خير لمن ومن وعمـــل صالحـــا ولا يلقاهـــا إلا الصابرون [٨] وقله : (ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينـــه عـــداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيـــم) [١]

---

[٣] سورة النحل / ٩٦ .

[٤] سورة الزمر / ١٠ .

[٥] سورة البقرة / ١٥٥ .

[٦] سورة آل عمران / ١٢٥ .

[٧] سورة فالشورى / ٤٣ .

[٨] سورة القصص / ٨٠ .

[١] سورة فصلت / ٣٤ ، ٣٥ .

الثالث عشر : الإخبار أنه ينتفع بالآيات والعبر أهل الصبر كقوله تعالى : ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن اخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بآيات الله فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) [١]

وقوله تعالى : (ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام إن يشاء يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) [٢] .

الرابع عشر : الإخبار بان الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب ، ودخول الجنة إنما نالوه بالصبر كقوله تعالى : (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) [٣]

الخامس عشر : الصبر يورث صاحبه الإمامة ، وبالصبر واليقين ينال الإمامة فى الدين كقوله – تعالى – (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) [٤]

السادس عشر : اقترانه بمقامات الإسلام والإيمان كما قرن سبحانه باليقين وبالتقوى والتوكل والشكر ، ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له ، كما انه لا جسد لمن لا راس له .

---

[١] سورة إبراهيم / ٥ .

[٢] سورة الشورى / ٣٢ ، ٣٣ .

[٣] سورة الرعد / ٢٣ /، ٢٤ .

[٤] سورة السجدة / ٢٤ .

قال عمر بن الخطاب : خير عيش من أدركنا بالصبر . وفى الحديث : " الصبر ضياء " . [١]

قال الإمام النووى فى شرحه لهذا الحديث : " وأما قوله – صلى الله عليه وسلم : " والصبر ضياء " فمعناه : الصبر المحسوب فى الشرع ، وهو الصبر على طاعة الله تعالى ، والصبر المحسوب فى الشرع ، وهو الصبر على طاعة الله تعالى ، والصبر عن معصيته ، والصبر أيضا على النائبات ، وأنواع المكاره فى الدنيا . والمراد أن الصبر محمود ولا يزال صاحبه مستضيئا مهتديا مستمرا على الصواب [٢]

وفى الحديث : " من يتصبر يصبره الله " [٣]

وزاد ابن القيم وجوها لم يذكرها صاحب البصائر فقال رحمه الله منها :-

– أنه جمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم وهى : الصلاة منه عليهم ، ورحمته لهم ، وهدايته إياهم .

– قال تعالى : (وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إن لله وإن إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) [٤]

---

[١] صحيح مسلم – كتاب الطهارة – باب فضل الوضوء .

[٢] صحيح مسلم بشرح النووى (٣ / ١٠١ ط : المطبعة المصرة ومكتباتها ((د/ ت) .

[٣] الحديث متفق عليه وراجع : بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز ابادى (٣ / ٣٧١) " بصيرة فى صبر " والوجوه والنظائر لألفاظ القرآن الكريم (٢ / ١٥)

[٤] سورة البقرة / ١١٥ – ١٥٧ .

وقال بعض السلف وقد عوى على مصيبة نالته فقال : مالى لا أصبر وقد وعدنى الله عهلى الصبر ثلاث خصال كل خصلة فيها خير من الدنيا وما عليها .

أنه – سبحانه – جعل الصبر والتقوى جنة عظيمة ن كيد العدو فما استجن العبد من ذلك جُنَّةً أعظم منها قال تعالى : (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) [١]

أنه – سبحانه – أخبر أن ملائكته تسلم عليهم فى الجنة بصبرهم كما قال : " (الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) [٢]

أنه – سبحانه – اثنى على عبده أيوب بأحسن الثناء على صبره فقال (إنا وجدنا صابرا نعم العبد إنه أواب) [٣]

فأطلق عليه : نعم العبد بكونه وجد صابرا ، وهذا يدل على أنم من لم يصبر إذا ابتلى بئس العبد "

أنه – سبحانه – حكم بالخسران حكما عاما على من لم يؤمن ولم يكن من أهل الحق والصبر ، وهذا يدل على انه رابح سواهم فقال تعالى :

---

[١] سورة آل عمران / ١٢٠ .

[٢] سورة الرعد / ٢٣ ، ٢٤ .

[٣] سورة ص / ٤٤ .

(والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) [١]

ولهذا قال الشافعى – كما سبق : " لو فكر الناس كلهم فى هذه السورة لوسعتهم "

وذلك أن العبد كما له فى تكميل قوتية : قوة العلم ، قوة العمل وهما : الإيمان والعمل الصالح . وكما هو محتاج إلى تكميل غيره ، وهو التواصى بالحق والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، وأخيه كذلك .

وقاعدته وساقه الذى يقوم عليه إنما هو الصبر . [٢] وقوله : (وتواصوا بالصبر) . التواصى بالصبر عطف على التواصى بالحق من عطف الخاص على العلم .

وقد اشتمل قوله تعالى : (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) على إقامة المصالح الدينية كلها ، فالعقائد الإسلامية والأخلاق الدينية مندرجة فى الحق ، والأعمال الصالحة وتجنب السيئات مندرجة فى الصبر .

---

[١] سورة العصر .

[٢] عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ص (٦٢) .

والتخلق بالصبر ملاك فضائل الأخلاق كلها فإن الارتياض بالأخلاق الحميدة لا يخلو من حمل المرء نفسه على مخالفة شهوات كثيرة ، ففي مخالفتها تعب يقتضى عليه حتى تصير مكارم الأخلاق ملكه لمن راض نفسه عليها .

كما قال عمرو بن العاص :

إذا المرء لم يترك طعاما يحبه ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

فيوشك أن تلفى له الدهر سنة إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وكذلك الأعمال الصالحة كلها لا تخلو من إكراه النفس على ترك ما تميل إليه .

وفى الحديث : " حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات " .

وقد أفادت صيغ " التواصى " بالحق وبالصبر أن يكون شأن حياة المؤمنين قائمة على شيوع التآمر بهما ديدنا لهم .

وذلك يقتضى اتصاف المؤمنين بإقامة الحق وصبرهم على لمكاره فى مصالح للإسلام وأمته . [1]

---

[1] التحرير والتنوير (١٥ / ٥٣٤) .

وقول الشوكانى : " وفى جعل التواصى بالصبر قرينا للتواصى بالحق دليل على عظيم قدره وفخامة شرفه ، ومزيد ثواب الصابرين على ما يحقق الصبر عليه – إن الله مع الصابرين .

وأيضا التواصى بالصبر مما يندرج تحت التواصى بالحق ، فإفراده بالذكر ، وتخصيصه بالنص عليه من أعظم الأدلة الدالة على إنافته على خصال الحق ، ومزيد شرفه عليها ، وارتفاع طبقته عنها . [1]

والحكمة من التعبير بقوله تعالى : (وتواصوا) بدل : (ويتواصون) لئلا يقع أمرا بل الغرض مدحهم بما صدر عنهم فى الماضى ، وذلك يفيد رغبتهم فى الثبات عليه فى المستقبل .

الفرق بين الصبر والتصبر والاصطبار والمصابرة :

الفرق بين هذه الأسماء بحسب حال العبد فى نفسه وحاله مع غيره ، فإن حبس نفسه ومنها عن إجابة داعى ما لا يحسن عن كان خلقا له وملكه سمى صبرا

وإن كان بتكلف وتمرن وتجرع لمرارته سمى تصبرا ، كما يدل عليه هذا البناء لغة فإنه موضوع للتكلف والتحكم والتشجع والتكرم ونحوها ، لأن كثرة المبنى تدل على كثرة المعنى .

---

[1] فتح القدير للشوكانى (٥ / ٤٩٢) .

وأما المصابرة فهى مقاومة الخصم فى ميـــدان الصـــبر ، فإنـــها مفاعلـــة تستدعى وقوعها بين اثنين كالمشاتمة والمضاربة .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا اتقوا الله لعلكـــم تفلحون) [١]

فالتصبر مبدأ الاصطبار كما أن التكسب مقدمة الاكتساب ، فلا يزال التصـــبر يتكرر حتى يصيرا اصطبارا .

وأختم هذا البحث ببعض الآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم فى فضيلـة الصبر فأقول وبالله تعالى التوفيق :

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية : حدثنا الأعمش عن مجاهدة قال : قـــال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – : " وجدنا خير عيشنا فى الصبر "

وقال أيضا : أفضل عيش : عيش أدركناه بالصبر ، ولو أن الصبر كان مـــن الرجال كان كريما "

وقال على بن أبى طالب – رضى الله عنه – : ألا إن الصبر مـــن الإيمـــان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قطع الرأس بار الجسم ، ثم رفع صوته فقال : ألا إنه لا إيمان لمن صبر له .

---

[١] عدة الصابرين ص (١٥) باختصار وتصرف .

وقال : الصبر مطية لا تكبو .

وقال الحسن : الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده .

وقال سليمان بن القاسم : كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر ، قال الله تعالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) [١]

وقال سفيان بن عينية : فى قوله تعالى : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) [٢] لما أخذوا براس الأمر جعلناهم رءوسا .

وقال يونس بن زيد : سألت ربيعة بن أبى عبد الرحمن : ما منتهى الصبر؟

قال : أن يكو يوم تصيبه المصيبة مثل قبل أن تصيبه . [٣]

والصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات ، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية ، ومفسدة عدم الطاعة أبغض وأكره من مفسدة وجود المعصية .

قال ذو النون : الصبر : التباعد من المخالفات ، والسكون عن تجرع غصص البليات ، وإظهار الغنى مع طول الفقر بساحات المعيشة .

---

[١] سورة الزمر / ١٠ .

[٢] سورة السجدة / ٢٤ .

[٣] باختصار وتصرف من عدة الصابرين ص ٦٢ .

وقيل : لصبر : الوقوف مع البلاء بحسن الأدب .

وتحتل : إلزام النفس الهجوم على المكاره .

وقيل : المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية .

وقال الخواص : هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة .

وقال يحيى بن معاذ : صبر المحبين أشد من الزاهدين ، وأعجبا كيف يصبرون !

وأنشد :

والصبر يحمد في المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم

وقيل : الصبر : هو الاستعانة بالله ، وقيل : هو ترك الشكوى .

وقيل :

الصبر مثل اسمه مر مذاقته لكن عواقبه احلى من العسل

ووقف رجل على الشبلى فقال : أى الصبر اشد على الصابرين ؟

فقال : الصبر فى الله ، فقال السائل : لا قال : مع الله .

قال : لا قال : فأيش ؟ قال : الصبر عن الله ، فصرخ الشبلى صرخة كـــادت نفسه تذهب .

وقال أبو على الدقاق : فاز الصابرون بعز الدراين ، لأنـــهم نـــالوا مـــع الله معيته ، فإن الله مع الصابرين .

ورأى بعضهم رجلا يشكو إلى آخر فاقة وضرورة فقال : يا هذا تشكو مـــن يرحمك إلى من لا يرحمك !!

ثم أنشده :

وإذا اعترتك بليـــة فـــاصبر لـــها صـــبر الكريـــم فإنـــه بـــك أرحـــم

وإذا شكوت إلـــى ابـــن أدم إنمـــا تشكو الرحيم إلـــى الـــذى لا يرحـــم

وقال الشيخ عبد الله الأنصارى : الصبر حبس النفس على المكـــروه وعقـــل اللسان عن الشكوى .

وهو ثلاث درجات :

الأولى : الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد ، واحسن منها الصبر عـــن المعصيـــة حياء .

الثانية : الصبر عن الطاعة بالمحافظة عليها دواما ، وبرعايتها إخلاصا ، وبتحسينها علما .

الثالثة : الصبر فى البلاء بملاحظة حسن الجزاء ، وانتظار روح الفرج وتهوين البلية بعد أيادى المنن وتذكر سوالف النعم . [١]

وإتماما للفائدة أذكر بعض الأسباب التى تعين على الصبر .

يقول ابن القيم : " لما كان الصبر مأمورا به جعل الله – سبحانه – له أسبابا تعين عليه ، وتوصل إليه وكذلك ما أمر الله – سبحانه – بالأمر إلا أعان عليه ، ونصب له أسبابا تمده وتعين عليه كما أنه ما قدر دواء إلا وقدر له دواء أو ضمن الشفاء باستعماله .

فالصبر وإن كان شاقا كريها على النفوس فتحصيله ممكن وهو يتركب م مفردين . العلم والعمل فمنهما تركب جميع الأدوية التى تداوى بها القلوب والأبدان ؟ فلا بد من جزء علمى ، وجزء عملى فمنهما يركب هذا الدواء الذى هو أنفع الأدوية . [٢]

أقول وهذا الدواء الناجح قد ورد فى الآية الكريمة التى معنا إذ يقول الله تعالى : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فالإيمان : العلم ، والعمل فى قوله "

---

[١] بصائر ذوى التمييز (٣ / ٣٨١)

[٢] عدة الصابرين (ص ٤٦) .

وعملوا الصالحات) وذلك لأن العلم يزيد الإيمان ويبعث الطمأنينة إلى النفس وكذلك العمل الصالح الذى يبعث فى النفس الراحة والطمأنينة للإنسان الذى يعمل الأعمال الصالحة التى تقربه من الله عز وجل – وتعود عليه بالنفع فى الدنيا والآخرة .

ولما كان الصبر مصارعة باعث العقل والدين لباعث الهوى والنفس وكل متصارعين أراد أن يتغلب أحدهما على الآخر ، فالطريق فيه تقوية من أراد أن يكون له الغلبة له ويضعف الآخر كالحال مع القوة والمرض سواء فإذا قوى باعث شهوة الوقاع المحرم وغلب بحيث لا ملك معها فرجة ، أو يملكه ولكن لا يملك قلبه بل لا يزال يحدثه بما هناك ويعده ويمينه ويصرفه عن حقائق الذكر والتفكير بما نفعه فى دنياه وأخرته ، فإذا عزم على التداوى ومقاومة هذا الداء فليضعفه أولا بأمور :

أحدها : أن ينظر إلى مادة قوة الشهوة فيجدها من الأغذية المحركة للشهوة إما بنوعها أو بكميتها وكثرتها لحسم هذه المادة بتقليبها ، فإن لم تنحسم فليبادر إلى الصوم فإنه يضعف مجارى الشهوة ويكسر حدتها ،ولا سيما إذا كان أكله وقت الفطر معتدلا .

الثانى : أن يتجنب محرك الطلب هو النظر فليقصر لجام طرفه ما أمكنه ، فإن داعى الإرادة والشهوة إنما يهيج بالنظر ، وانظر يحرك القلب بالشهوة وفى المسند عنه – صلى الله عليه وسلم – النظر سهم مسموم من سهام إبليس ومعظم النار من مستصغر الشرر .

الثالث : تسلية النفس بالمباح المعوض عن الحرام ، فغن كل ما يشتهيه الطبع ففيما أباحه الله – سبحانه – غنية عنه : وهذا هو الدواء النافع فى حق أكثر الناس

الرابع : التفكر فى المفاسد الدينوية من قضاء هذا الوطر فإنه لو لم يكن جنة ولا نار لكان فى المفاسد الدينوية ما ينهى عن إجابة هذا الداعى ولو تكلفنا عدها لفاقت الحصر ، ولكن عين الهوى عمياء . [1]

الخامس : الفكرة فى مقابح الصورة التى تدعوه نفسه إليها إن كانت معروفة بالإجابة له ولغيره فيعز نفسه أن يشرب من حوض ترده الكلاب والذئاب كما قيل :

سأترك وصلكم شرفا وعزا لخسة سائر الشركاء فيه

وقال آخر :

إذا كثر الذباب على الطعام رفعت يدى ونفسى تشتهيه

وتجتنب الأسود ورود ماء إذا كان الكلاب يغن فيه

[1] ولا أدل على ذلك من انتشار أمراض لم تكن فى أسلاف الأمم الماضية لانتشار الزنا ولم يسرف لها علاج إلى يومنا هذا وهى كثيرة – وقانا الله شرها .

هذا عن تقوية باعث العقل . شطره جديدة وأما تقوية باعث الدين فانه يكـــون فـــى أمور .

أحدهما : إجلال _ تبارك وتعالى _ أن يعصى وهو يرى ويسمع ومن تقـــام بقلبـــه مشهد إجلاله لم يطاوعه قلبه لذلك البتة .

الثانى : مشهد محته _ سبحانه _ فيترك معصية محبة له ، فن المحب لمـــن يحـــب مطيع .

الثالث : مشهد النعمة والإحسان فان الكريم لا يقابل بالإساءة من أحسن إليه وإنمـــا يفعل هذا لئام الناس فليمنعه مشهد إحسان الله _ تعـــالى _ ونعمتـــه مـــن معصيته حياء منه أن يكون خـــير الله وإنعامـــه نـــازلا إليـــه ومخالفاتـــه ومعاصيه وقبائحه صاعدة إلى ربه ، فملك يتنزل بهذا ، ملك يعـــرج بـــذاك فأقبح بها من مقابلة .

الرابع : مشهد الغضب والانتقام ، فان الرب _ تعالى _ إذا تمادى العبد فى معصيتـــه غضب ، وإذا غضب لم يقم لغضبه شى ، فضلا عن هذا العبد الضعيف

الخامس : مشهد الفوات ن وهو ما يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخـــرة ، ومـــا يحدث له بها من كل اسم مذموم عقلا وشرعا وعرفا ، ويزول عنـــه مـــن الأسماء الممدوحة شرعا وعقلا وعرفا .

ويكفى هذا المشهد مشهد فوات الإيمان الذى أدنى مثقال ذرة منه خير من الدنيا وما فيها أضعافا مضاعفه فكيف أن يبيعه بشهوة تذهب لذتها وتبقى تبعتها ، تذهب الشهوة وتبقى الشقوة .

السادس : مشهد المعية : وهو نوعان ، معية ، ومعية خاصة

والمقصود هنا : المعية الخاصة كقوله : (إن الله مع الصابرين) [١]

وقوله : " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " [٢]

وقوله : وإن الله لمع المحسنين " [٣]

فهذه المعية الخاصة خير وأنفع فى دنياه وأخرته ممن قضى وطره ، ونيل شهوته على التمام من أول عمره إلى أخرته

فكيف يؤثر عليها لذة منغصة منكدة فى مدة يسيرة من العمر إنما هى كأحلام أو كظل زائل .

---

[١] سورة البقرة | ١٥٣ .

[٢] سورة النحل | ١٢٨ .

[٣] سورة العنكبوت | ٦٩ .

السابع : مشهد البلاء والعافية ، فان البلاء فى الحقيقة ليس إلا الذنوب وعواقبها ، والعافية المطلقة هى الطاعات وعواقبها فأهل البلاء هم أهل المعصية وإن عوفيت أبدانهم ، وأهل العافية هم أهل الطاعة وإن مرضت أبدانهم .

وقال بعض أهل العلم فى الثر المروى : إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية ، فان أهل البلاء المبتلون بمعاصى الله والإعراض والغفلة عنه . وهذا وإن كان البلاء فاللفظ يتناول أنواع المبتلين فى أبدانهم وأديانهم

وأخيرا : أن لا يغتر العبد باعتقاده أن مجرد العلم بما ذكر كاف فى حصول المقصود بل لابد أن يضيف إليه بذل الجهد فى استعماله واستفراغ الجهد والطاقة فيه .

وملاك الأمر : الخروج عن العوائد فاتها أعداء الكمال والفلاح ، فلا أفلح من اسمر مع عوائد أبدا ، ويستعين على الخروج عن العوائد بالهروب عن مظان الفتنة والعبد عنها ما أمكنه .

وقد قال النبى _ صلى الله عليه وسلم _ : " من سمع بالدجال فلينأ عنه " فما استعين على التخلص من الشر بمثل البعد عن أسبابه ومظانه ، وها هنا لطيفة

الشيطان لا يتخلص منها إلا حاذق ، وهى أن يظهر له فى مظان الشر بعض شى من الخير ويدعوه إلى تحصله فإذا قرب منه ألقاه فى الشبكة . والله اعلم [١]

وبالجملة : فان الإنسان لا يستغنى عن الصبر فى حال من الأحوال وكذلك الأسباب التى تعين على الصبر كما ذكرنا ..

وذكر الإمام ابن كثير عند تفسيره لسورة العصر قال : " ذكروا أن عمر وبن العاصى وفد على مسيلة الكذاب وذلك بعد ما بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم _ وقبل أن يسلم عمرو فقال له مسيلمة ماذا أنزل على صاحبكم فى هذه المدة ؟

فقال : لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال وما هى ؟ .

فقال : (والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق

ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال : وقد أنزل على مثلما ، فقال له عمرو وما هو؟

فقال : يا وبر يا إنما أنت أذنان وصدر وسترك حفر نقر .

---

[١] باختصار وتصرف يسير من عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ص (٤٦) وما بعدها .

ثم قال كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أنى أعلم أنـــك تكذب وقد رأيت الخرائطى أسند فى كتابه المعروف (بمساوى الأخلاق) فى الجـــزء الثانى منه شيئا من هذا أو قريبا منه والوبر دويبة تشبه الهر أعظم شى فيه أذنـــاه وصدره وباقية دميم .

فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن ، فلم يرج ذلك على عابد الأوثان فى ذلك الزمان [١]

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

---

[١] تفسير : ابن كثير(٤ | ٥٤٧)

مصادر ومراجع البحث

بحسب ورودها فيه

القرآن الكريم جل من أنزله

١. تفسير التحرير والتنوير لسماحة الأستاذ الإمام الشيخ | محمد الطاهر بن عاشور دارسحنون للنشر والتوزيع _ تونس _ بدون تاريخ .

٢. صحيح البخارى (الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله _ صلى الله وسلم _ وسننه وأيامه) لأمير المؤمنين فى الحديث أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (٣ من شوال ١٩٤ _ ٢٥٦ ه) دار الكتب العلمية _ بيروت_ لبنان _ بدون تاريخ .

٣. روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى _ مكتبة دار التراث _ القاهرة _ بدون تاريخ .

٤. الإتقان فى علوم القرآن _ للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى _ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم _ دار التراث _ القاهرة _ الطبعة الثالثة ١٤٠٥ _ ١٩٨٥م .

٥. الدار المنثور فى التفسير المأثور وهو مختصر تفسير ترجمان القرآن للسيوطى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان . ط : (١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م)

٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – وضع : محمد فؤاد عبدالباقى – مكتبة الغزالى – دمشق بدون تاريخ .

٧. مناهل العرفان فى علوم القرآن – الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقانى – دار أحياء التراث العربى – بدون تاريخ .

٨. تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين : أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى – المتوفى سنة ٧٧٤ هـ مكتبة التراث الإسلامى ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م) .

٩. صفوة التفسير للأستاذ الشيخ على الصابونى .

١٠. بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى تحقيق الأستاذ : عبدالعليم الطحاوى ، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

١١. تفسير غريب القرآن لأبى عبدالله بن مسلم بن قتيبة . تحقيق : السيد أحمد صقر – طبع : دار الكتب العلمية . بيروت ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م .

١٢. أحكام القرآن لأبى بكر محمد عبدالله المعروف بابن العربى . تحقيق على محمد البجاوى – طبع : دار الفكر العربى – بدون تاريخ .

١٣. تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن للإمام شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أحمد القرطبى طبع : دار الغد العربى – الطبعة الأولى . ١٤١٠هـ – ١٩٩٠ م .

١٤. فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد ابن على الشوكانى طبع : دار الفكر – ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

١٥. مفاتيح الغيب – التفسير الكبير للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التيمى البكرى الرازى الشافعى (٥٤٤- ٦٠٤ هـ) طبع دار الغد العربى – الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م .

١٦. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان – جمعه : محمد فؤاد عبدالباقى – أوقاف دولة الكويت .

١٧. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للإمام : محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٢٨ هـ طبع : دار الفكر – بدون تاريخ .

١٨. التبيان فى أقسام القرآن لشمس الدين أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية طبع : مكتبة المتنبى – القاهرة – بدون تاريخ .

١٩. حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا – العدد الخامس ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .

٢٠. حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا – العدد الثانى ١٤١١هـ – ١٩٩٠ م .

٢١. البحر المحيط فى التفسير لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى الغرناطى (٦٥٤ - ٧٥٤ - طبع : دار الفكر ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م) .

٢٢. الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز لأبى عبدالله الحسين بن محمد الدامغانى المتوفى سنة ٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م ، طبع : وزارة الأوقاف المصرية - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث - تحقيق وتقديم : محمد حسن أبو العزم الزفيتى القاهرة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

٢٣. الفوائد : لشمس الدين بن أبى بكر قيم الجوزية طبع : دار الصفا (١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م) تعليق : صابر يوسف .

٢٤. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٠٤ هـ ، ط : المساحة العسكرية بالقاهرة .

٢٥. مقدمة التفسير لابن تيمية ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن ١٤٠٤ هـ .

٢٦. التفسير الموضوعى لآيات التوحيد فى القرآن الكريم د | عبد العزيز بن الدردير طبع : مكتبة القرآن _ القاهرة _ بدون تاريخ .

٢٧. قصد السبيل فى التفسير الموضوعى لأى التنزيل د | جودة محمد أبو يزيد المهدى ١٩٨٨ | ١٩٨٩ م .

٢٨. رياض الأزهار وكنز الأسرار فى تفسير القرآن لأبى عبد الله محمد بن على الخروبى مخطوط .

٢٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل ط : مؤسسة قرطبة _ ترقيم : محمد ناصر الدين الألبانى

٣٠. المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلس _ طبع : دار الكتب العلمية _ بيروت

٣١. حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا_ العدد الأول ١٤١٩ هـ

٣٢. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لشمس الدين أبى عبـــد الله محمد بن القيم الجوزية ، طبع : دار التراث العربى _ الطبعـة الثانية ١٤٠١ ه _ ١٩٨٠م

٣٣. لسان العرب _ جمال الدين بـــن منظـــور (٦٠٣ _ ٧١١ ه | ١٢٣٢ _ ١٣١١ م) طبع : دار المعرف _ القاهرة _ بـــدون تاريخ .

٣٤. صحيح مسلم بشرح النـــوى _ طبـــع : المطبعـــة المصريـــة ومكتباتها _ بدون تاريخ .